# الميزات النحوية من خلال"المحكم والمخصص"
# لابن سيده الأندلسي

**الدكتورأصغر علي بيك**[1]

**ملخص البحث**

شاهدت الأندلس عبر الفترة الممتدة من الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبرية (٩٢هـ-٧١١م) إلى سقوط غرناطة (٨٩٧هـ-١٤٩٢م) إسهامات واسعة متعددة وتطورات هائلة في كثير من مجالات العلم والفن والأدب، كما أنبتت أرض الأندلس مفكرين متميزين وشعراء أفذاذ وعلماء كبار وأدباء عمالقة الذين عنوا بدراسة علوم القرآن والحديث والفقه والقضاء والتاريخ والسيرة وجغرافية، واهتموا منذ البداية باللغة وآدابها وعلومها وفنونها حفظا على القرآن الكريم والحديث النبوي والتراث العربي من أجل فهمه فهما صحيحا، فازدهرت الحركة اللغوية في الأندلس ازدهارا ملحوظا، واستطاعت تلك الأرض من خلالها أن تشارك في النهضة اللغوية المشرقية، فبرز من علمائها وأدباءها جماعة ممن وفقت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية، ومن أبرز وأهم هذه الأسماء اسم عالم الجليل واللغوي والنحوي الشهير أبو الحسن علي ابن سيده الذي اكتسب بسيرته العلمية الفذة ثناء العلماء حتى وصفوه بشيخ اللغويين والنحاة وأنه أعلم أهل الأندلس بالنحو واللغة والأشعار وأحفظهم، وكان يحفظ الكثير من المصنفات اللغوية والنحوية عن ظهر قلب. سألقي الضوء في هذا المقال عن جهود ذلك الرائد الكبير والقائد العظيم الذي ترك لنا تراثا قيما في مجال الحركة اللغوية في الأندلس في القرن الثالث والرابع الهجري وخاصة ميزاته النحوية خلال كتابيه المهمين "المخصص" و"المحكم والمحيط الأعظم" اللذين نالا

---

١ المحاضر المتعاقد في كلية كرناه، كفوارة، كشمير.

شهرة عظيمة ومكانة مرموقة لا في المغرب فقط بل في العالم كله، وساهما مساهمة جبارة في الحركة اللغوية والنشاط اللغوي في الأندلس، وجعل ابن سيده يتبوأ منزلة رفيعة بين صانعي المعاجم العربية باعتباره واحدا من روادها العظام.

**الكلمات المفتاحية: الأندلس، الأدباء، ابن سيدة، المعاجم، اللغة، ميزات نحوية، الحركة اللغوية**

**نبذة عن حياته**

ولد أبو الحسن علي ابن سيده عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م[١] في مرسية وهي إقليم من مملكة "تدمير" في شرق الأندلس، ونشأ في بيت علم ولغة، حيث كان أبوه من النحاة وأهل المعرفة والذكاء، وقد تعهد ابنه هذا بالرعاية والتعليم، وصقله صغيرا وشبّعه بحب اللغة وعلومها، كان ابن سيده أعمى غير أن الله سبحانه وتعالي رزقه ذاكرة قوية وذهنا متوهجا، وذكاء حادا عوضا عن فقدان بصره. ولقد أعانته ذاكرته القوية وإلمامه الواسع أن يفوق أقرانه وأن يصنف في مجال علم اللغة والنحو والمجالات الأخرى كتبا رائقة حتى وصفوه بشيخ اللغويين والنحاة، لقد تعلم أولا من أبيه الذي كان عالما ونحويا ولغويا،[٢] ثم تتلمذ على كبار العلماء والشيوخ، ومنهم صاعد البغدادي(ت ٤١٧هـ) الوافد على الأندلس من المشرق، وأبو عمرو أحمد بن محمد الطلمنكي(ت ٤٢٩هـ) وصالح بن الحسن البغدادي(ت ٤٢١هـ) وغيرهم من العلماء والشيوخ، ولم يقتصر على علم اللغة والأدب بل درس كل ما كان شائعا في زمانه وما يتفق مع طبيعته، وأخذ شتى العلوم والفنون ولكن تخصصه كان في مجال اللغة والأدب الذي كان له فيه مكانة مرموقة وشهرة فائقة، كما قال فيه جلال الدين السيوطي "لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم

---

١. الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ٢٦٤.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٤٤.

الحكمة".[١] ". وقال القاضي صاعد (ت ٤٦٢هـ) عنه: "وألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس (ت ٣٢٨هـ) وهو بعد هذا أعلم أهل الأندلس قاطبة بالنحو واللغة والأشعار، وأحفظهم لذلك حتى أنه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها، كغريب المصنف، وإصلاح المنطق..."[٢]

**ميزاته النحوية من خلال كتابيه "المحكم" و"المخصص"**

لقد كان ابن سيده فقيها لغويا نحويا أديبا منطقيا، وأطلق عليه الحافظ جلال الدين السيوطي قوله "لم يكن أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها متوفرا على علوم الحكمة"[٣]. إلا أنه امتاز بتفوقه في مجال اللغة العربية وعلى الأخص منه في القواعد. كما يقول بنفسه في مقدمة كتابه الشهير "المحكم": "أنا الجواد الخوار العنان، المخترق للميدان في غير فن من الفنون واليقين القاتل لخوالج الظنون وذلك أني أجد علم اللغة أقل بضائعي وأيسر صنائعي إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو، وحوشي العروض وخفى القافية، وتصوير الأشكال المنطقية، والنظر في سائر العلوم الجدلية"[٤]. وفي علم اللغة تمهر في النحو، وأخرج كتابيه "المحكم" و"المخصص" الذين استمرا حتى الآن نقطة البحث والتحقيق بين العلماء والأدباء واللغويين بعد ألف سنة. فنذكر أولا ميزاته النحوية من خلال كتابه "المحكم" ثم نستعرض ميزاته النحوية من خلال كتابه "المخصص".

**ألف: ميزات المحكم**

---

١. السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة، ج٢، ص ١٤٣.

٢. القاضي صاعد: طبقات الأمم، ص ٦٧.

٣. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، ١٤٣/٢.

٤. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، حققه مصطفى السقا، والدكتور حسين نصار، ½، الطبعة الأولى، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.

إن محكم ابن سيده يعد أحسن المعاجم التي التزمت منهج الخليل بن أحمد في العين، من حيث ترتيب مواده، ووجازة تعبيراته وألفاظه، ومن حيث ما اشتمل عليه من علوم النحو والصرف والعروض وغير ذلك؛ حيث ظهرت براعة المؤلف واضحة في تلك العلوم حتى يخيل إليك في بعض الأحيان أنك لست في معجم لغوى بل في كتاب من كتب الصرف أو النحو أو العروض وذلك حينما يستطرد المؤلف في عرض المسائل النحوية والصرفية خاصة لأدنى ملابسة تعرض له ليفيض علينا من علمه الذى كان يعتز به، والذى يرى أن علم اللغة والمعجم الذى برع فيه وذاع صيته بسببه أنه إذا ما قورن بعلومه الأخرى في النحو والصرف والعروض والقافية والمنطق وغيرها لظهر أنه أقل بضائعه، وأيسر صنائعه[١]، وذلك حيث يقول في مقدمة الكتاب: " إني أجد علم اللغة أقلّ بضائعي، وأيسر صنائعي، إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيقٍ بالنحو، وحوشي العروض، وخفىّ القافية، وتصوير الأشكال المنطقية، والنَّظر في سائر العلوم الجَدَلية "[٢]. أعجب كثيرا من أصحاب المعاجم المتأخرين بالمحكم وأكثروا من الرجوع إليه بل اكتفى بعضهم بالجمع بينه وبين بعض الموسوعات اللغوية الأخرى في تأليف معجماتهم وأشهر من فعل ذلك ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب وتاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) في الجمع بين العباب والمحكم والفيروز آبادي في اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وغيرهم، كما أثنى على الكتاب كثير من أصحاب اللغة والأدب والعلم، كما قال الدكتور طه حسين في تصديره

---

١. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بإبن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، من مقدمة المحقق ص ٨-٩، الجزء الأول، المحتوى ع (العين والهاء) ع (العين والطاء والميم)، من منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، من مقدمة التحقيق، ص ١٦ تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، المحتوى: ع (العين والهاء) ع (العين والطاء والميم)، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

للمحكم: "هذا كتاب يعتبر أصلا خطيرا من أصول المعجمات اللغوية، فصاحبه قد جمع كل ما سبق إليه الذين وضعوا المعجمات ودرسه وحقق منه ما يحتاج إلى تحقيق وصحح منه مالم يكن بد من تصحيحه وأهدي إلى العالم العربي كتابه هذا الضخم مرجعا أساسيا بألفاظ اللغة العربية"[١].

كما أثنى عليه المستشرق "إدوارد وليم لين " في معجمه "مد القاموس" وقد انتفع فيه بالمعاجم القديمة التي كانت لديه منها الكثير من مخطوطاتها فهو إذ يدلى بحكمة على ابن سيده قائلا: "لم يقع لنا بعد عهد الصحاح قاموس أعظم من محكم ابن سيده...وإن تيمته لترتفع إلى الذروة من حيث الصحة والإشارة الانتقادية والأمثلة الكثيرة والشواهد اللغوية الصحيحة...وقد اعتمدت عليه كثيرا في تأليف معجمي هذا.[٢]

وقال علامة قفطي: (كان ابن سيده) "إماما في اللغة والعربية جمع في اللغة كتاب المحكم يقارب عشرين مجلدا لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه وهو في وقف التاج السندهي بدمشق في رباط الصوفية، لو حلف حالف إنه لم يصنف مثله لم يحنث".[٣]

لدى دراسة "المحكم" نتوصل إلى ميزات عدة، ومن أهمها ما يلي:

**التفنن في الترتيب**

تفنن ابن سيده في ترتيب كتابه المحكم بترتيبه الدقيق، حيث رتبه على نسق حروف أوائل كلمات هذه الأبيات[٤]:

---

١. ابن سيده: المحكم، (تصدير) ص ٣.

٢. إدوارد وليم لين: مد القاموس، ص ١١.

٣.قفطي: إنباه الرواة، ج ٢، ص ٢٢٥.

٤. كشف الظنون، ٢/١٦١٦- ١٦١٧.

علقت حبيبا هنت خيفة غدره قليل كرى جفن شكا ضر صده

سبا زهوه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب توى ربع لحده

نواظره فتاكة بعميده ملاحته أجرت ينابيع وجده

هذه طريقة صعبة للغاية تحتاج إلى النظر الدقيق والخيال العريق. وقد ذكر ناصرالدين محمد بن قرناص ترتيبها على النحو التالي:

عليك حروفاً هن خير غوامض قيود كتاب جل شأنا ضوابطه

صراط سوى زل طالب دحضه تزيد ظهوراً إذ تناءت روابطه

لذلكم نلتذ فوزا بمحكم مصنفه أيضاً يفوز وضابطه

وقد رتب المؤلف كتابه على ترتيب كتاب العين واعتمد على ترتيب الحروف وفقا لمخارجها بدءا من الأبعد وانتهاء بالأقرب، على النحو التالي:

(ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ى وا).

**تمييز المشتبهات**

ومن ميزات هذا الكتاب أنه يميز في المشتبهات، كما يقول المؤلف نفسه:

" ومن غريب ما تضمنَّه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركَّب، وهو الذي يسمِّيه النحويون جمع الجمع، فإن اللُّغويين جمّا لا يميزون الجمع من اسم الجمع، ولا ينبهون على

جمع الجمع"[1].

**الفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي**

من ميزات هذا المعجم أنه يفرق بين التخفيف البدلي والتخفيف القياسي، وهما نوعا تخفيف الهمزة كقول المؤلف "إن قول العرب أخْطَيْت ليس بتخفيف قياسي، وإنما هو تخفيف بَدَلِيّ محض، لأن همزة أخطأت همزة ساكنة قبلها فتحة، وصورة تخفيف الهمزة التي هَذِى نِصْبَتُها، أن تُخلَص ألفاً محضة، فيقال: أخْطَات، كقولهم في تخفيف كأس: كاس ... وهذا الذي أبَنْتُ لك، في أخطيت ونحوه، باب لطيف قد نبا عنه طبع أبى عبيد وابن السّكِّيت وغيرهما من متأخري اللغويين. فأما قدماءهم فأضيق باعا، وأنْبَى طباعا "[2].

**الفرق بين القلب والبدل**

وبما انفرد به ابن سيده في كتابه هو التفريق بين القلب والبدل، وعقْد اسم الفاعل بالفعل إذا كان جاريا عليه، بالفاء؛ وعقده إذا لم يك جاريا عليه بالواو، بسبب فلسفي نحوي دقيق، كما يقول المؤلف: " ومن ذلك أن أفرّق بين الفعل المنقلب عن الفعل، وبين الفعل الذى هو لغة في الفعل، وليس بمنقلب عنه، بوجود المصدر وعدمه، كجَذَب وجَبَذ، فإنهما لغتان، لأن لكلّ واحد منهما مصدرا، وأما يَئِس وأيِس، فالأخيرة مقلوبة عن الأولى، لأنه لا مصدر لأيس؛ ولا يُحتجّ بإياس : اسم رجل، فإنه فِعال من الأَوْس، وهو العطاء، كما يسمَّى الرجل عطيَّة، وهبة الله، والفضل "[3].

**ميزاته في التدوين والتقريب والتهذيب**

ومن خلال دراسة المحكم نجد المؤلف أنه يلتزم الاختصار، ويركز على تنظيم

---

١. المصدر السابق، ص ٧.

٢. نفس المصدر، ص ٧.

٣. نفس المصدر، ص ٧-٨.

المادة، وتقريب التأليف والتهذيب، كما يقول بنفسه: " إن كتابنا هذا مشفوع المِثْل بالمثل، مقترن الشكل بالشكل، لا يفصل بينهما غريب، ولا أجنبي بعيد ولا قريب، مهذَّب الفصول، مرتَّب الفروع بعد الأصول ... هذا إلى ما تحلى به من التهذيب والتقريب، والإشباع والاتساع، والإيجاز والاختصار، مع السلامة من التكرار، والمحافظة على جمع المعاني الكثيرة، في الألفاظ اليسيرة ...

ومن بديع تلخيص الكتاب، وغريب تخليصه، أنى أذكر صيغة المذكر، ثم أقول: والأنثى بالهاء، فلا أُعيد الصيغة، وإن خالفت الصيغة، أعلمت بخلافها إن لم يكن قياسيّا، نحو بِنْت أو أخت..

وفى كتابي هذا أشياء من الاختصار وتقريب التأليف وتهذيب التصنيف، ما لو ذكرته لكان فيه سِفْر جامع، ولكنى بهذا الذي أرَيْت منه قانع"[١].

فالمعجم يتميز باختصاره وتنظيم المادة، وتقريب التأليف، وتهذيب التصنيف، إلا أنه لم يستطع التزام ما ألزمه على نفسه، كما يشير المحقق الدكتور عبد الحميد هنداوي إليه ويبين سببه: "ولكن بمطابقة هذا المذكور بكتاب المصنف نجد أنه لم يستطع التزام ما ألزم به نفسه في مقدمته. وكان أعظم سبب عاقه عن تحقيق ذلك، هو: " اعتماده على المراجع اللغوية السابقة عليه، واغترافه موادّه منها، وهي لا تلتزم نظاما شبيها بالنظام الذي كان يضعه نصب عينه ". ولكننا نستطيع أن نقرر أنه قد التزم ذلك. فيما تفرد به ولم ينقله عن غيره. إلى حد كبير"[٢].

**ميزاته في تبويب الكتاب وتقسيمه**

جاء المؤلف بتبويب دقيق وتقسيم يسهل العرض للقارئ، فقسم الكتاب إلى كتب، وكل كتاب إلى أبواب، ثم رتب المواد داخل الأبواب وفقا لما تتألف منه من حروف

---

١. المصدر السابق، ص ٨.

٢. نفس المصدر، ص ٨.

ووفقا لما تتصرف إليه، وتتقلب فيه من وجوه أو تقاليب. وأصلا إن هذا المنهج الذي التقطه ابن سيده هو منهج دقيق التزمته المعاجم الأخرى التي سار مؤلفوها على درب الخليل، وقد تحدث ابن سيده عن هذا المنهج في مقدمة الكتاب. إلا أنه يتميز على ثلاث طرق: في حذف أمور، وتنبيه على أمور أخرى، وتمييز بين أمور متشابهة، وعلى هذه الشاكلة أنه تميز في منهج تأليف المعجم عن المعاجم الأخرى التي اتبعت منهج الخليل.

هذه هي بعض الميزات الرئيسية التي امتاز بها الكتاب، وميزاته تنعكس في عرض المادات العلمية، مثلا هو يتخذ موضوعا: العين والطاء والميم، فيبحث عن كلمات مثلا " عَمَطَ عِرْضَه عَمْطا، واعْتَمَطَه : عابَه، وعَمَطَ نعِمةَ الله، وعَمِطَها : كفَمِطَها : لم يشكرها" فأولا يذكر مقلوبة: ط ع م، ثم مقلوبة م ع ط، ويردفها مقلوبة ط م ع، ثم مقلوبة م ط ع[١].

وعلى هذه الشاكلة يعالج المؤلف كثيرا من المسائل النحوية وقضايا اللغة العربية، ومن ثم قد يتخيل القارئ أنه ليس أمام معجم لغوي وإنما يتصفح كتابا كبيرا دُوّن في النحو والصرف، وهنا نكتفي على هذه النماذج والميزات لنبحث عن ميزات كتابه الآخر "المخصص".

**ميزات "المخصص"**

هذا الكتاب يحتوي على مباحث ومواد نحوية غزيرة، وقد عده العلماء النقاد من أوفى وأشمل معجما من معاجم المعاني في تاريخ اللغة، حيث استعان ابن سيده في تأليفه بكل ما كتب قبله تقريبا من مؤلفات الغريب المصنف، والصفات، والألفاظ، والمعاجم اللغوية، وكتب اللغة[٢]. ومن أهم إنجازات ابن سيده اللغوية والنحوية بشكل خاص أنه جاء بمنهج فريد يخالف من جاء قبله في تقليدهم للخليل بن أحمد (في كتابه

---

١. ابن سيده، المحكم، ص الجزء الأول، ٥٥٧- ٥١٦.

٢. د. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥٤.

العين) وسيرهم على دربه في منهجه ووضعه للمادة، ومن هنا أنار للمغاربة طريقة جديدة ومنهجا حديثا في النحو العربي. وأصلا صُنف هذا الكتاب في جمع المواد اللغوية من كتب القدامى مع الاحتفاظ بنسبة القول إلى أصحابها. كما يصرّح به ابن سيده في المقدمة قائلا: "فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة إليها لمكان التعبير عما نتصوره، وتشتمل عليه أنفسنا أحببت أن أجرد فيه كتابا يجمع ما تنشر من أجزائها شعاعا، وتنثر من أشلائها، حتى قارب العدم ضياعا ولاسيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة"[١].هذا كتاب مهم في بابه، ويحتل مكانة بارزة بين مصنفات اللغة، وقد اعتبرها العلماء من أقدم وأوفر المصنفات وأوفرها مادة سبق اللسان والتاج والقاموس فيما وصل إلينا من مادة لغوية كما حفظ مواد نحوية ولغوية ضاعت كتبها واندثرت فيمكن الرجوع إليها في هذا الكتاب.[٢] يقول الدكتور أحمد مختار عمر: " هذا المعجم يعد أوفى وأشمل معجم من معاجم المعاني في تاريخ اللغة العربية"[٣].كتبه المصنف جامعا الألفاظ المنتشرة في الأمكنة المختلفة التي كانت على وشك الضياع، وجمع فيه كل ما فقد القدماء من جمعه ورتبه على ترتيب المعاني خلافا لترتيب الألفاظ وبين تعليل كل كلمة وأصلها، هنا نذكر بعض خصائص هذا الكتاب وميزاته:

- إنه يهتم بالقضايا اللغوية الشتى في حين لا نجد المشارقة الذين سبقوه مهتمين بها.
- إنه يتصدى بذكر التضاد، ويتعمق البحث في الكلمات العربية المضادة، كما يقول بنفسه: "فأما اللفظة التي تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين، أو متصلتين كالبشر الذي يقع على العدد القليل أو الكثير، والجلل الذي يقع على العظيم والصغير، واللفظة التي تدل على كيفيتين متضادتين كالنهل الواقع على السواد

---

١. ابن سيده، المخصص، ٧/١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢. دليل محمد الطالبي، المخصص دراسة، ص ٥٨.

٣. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ١٨٦، بحث منشور في مجلة أبحاث ميسان، المجلد الخامس، العدد العاشر، عام ٢٠٠٩م.

والبياض والحمرة، وكالسدفة المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط، فسآتي على جميعها مستقصى في فصل الأضداد من هذا الكتاب، مثبتا له غير جاحد، ومضطرا إلى الإقرار به على كل ناف معاند، ومبرئا للحكماء المتواطئين على اللغة، أو الملهمين إليها من التفريط، ومنزها لهم عن رأي من وسمهم في ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط".[١]

- إنه يبحث في الكلمات المترادفة، كما يشير ابن سيده بنفسه قائلا: " وكذلك أقول عن الأسماء المترادفة لا يتكثر بها نوع، ولا يحدث عن كثرتها طبع كقولنا في الحجارة حجر وصفاة ونقلة، وفي الطويل طويل وسلب وشرح "[٢].
- ومن خصائصه أنه يبحث عن أصل اللغة، كما يكتب " وقد اختلفوا في اللغة أمتواطأ عليها أم ملهم إليها وهذا موضع يحتاج إلى فضل تأمل..."[٣]. هكذا يتحدث ابن سيده عن أصل اللغة، ويحاول الوصول إلى أصل الكلمة، هل هي تواضع، أم اصطلاح، أم وحي وتوقيف، من خلال عرض أقوال أهل العلم وتحليلها؟

- من ميزات كتابه المخصص أنه هو أول من تصدى بالتعليل فقد بيّن ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء. فالتعليل من الميزات البارزة لكتابه المخصص، ولتدعيم قولنا نستدل بقوله الذي يقول فيه عن القدماء: " نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدون الموضع الذي انقلب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ولا يميزون مما يخرج عن هيئة المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذاك لغتان وذلك كجذب وجبذ ويئس، وأيس، ورأى، وراء ونحوه مما ستراه في موضعه مفصلا

---

١. ابن سيده، المخصص، ٣/١.

٢. نفس المصدر، ص ٣/١.

٣. نفس المصدر، ٣/١.

محللا محتجا عليه وكذلك لا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي أن يعتقد منه تخفيفا قياسيا وما يعتقد منه بدلا سماعيا ولا يفرقون بين القلب والإبدال ولا بين ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من اللغة ببيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة كقول أبي عبيد النبيثة ما أخرجته من تراب البئر واستشهاده على ذلك بقول صخر الغي: لصخر الغي ماذا تستبيث، وإنما النبيثة كلمة صحيحة مؤتلفة من ن ب ث وتستبيث كلمة معتلة مؤتلفة من ب و ث أو ب ي ث يقال بنث الشيء بوثا وبنثه وأبثته إذا استخرجته إلى غير ذلك من قوانين التصريف التي جافت أذهانهم عن رقتها وغلظت أفهامهم عن لطفها ودقتها"[١]. ففي هذا الاقتباس لا يشير إلى بدءه بالتعليل وتمييزه إياه عن الآخرين بل فيه نقد جارف على القدماء الذين لم يعتنوا بهذا الجانب.

- ومن ميزات ابن سيده في كتابه "المخصص" أنه يحضر الجانب النحوي والصرفي بكل قوة هنا، بخلاف المعاجم الأخرى.

- ومن ميزاته الأخرى أنه يستحضر بجمع الآراء التي وردت حول مادة خاصة مع ذكر بناء الكلمات وأصولها ومشتقاتها، بالإضافة إلى استحضار آراء العلماء النحاة وذكر أسمائهم مثلا هو يذكر أقوال أبي علي الفارسي في كثير من المسائل النحوية كما يسرد آراء النحاة الآخرين مثل سيبويه، مثلما فعل عند معالجة كلمة "تئفة" فقال هي عند سيبويه على وزن "فعِلَة" وعند أبي علي "تفعِلة" ثم يتخلص إلى النتيجة أيضا كما يقول "إن الصحيح في زنة الكلمة أن تكون "تفعِلة" ولا تكون "فَعِلة"[٢].

---

١. المصدر السابق، ١/ ٧-٨.

٢. نفس المصدر، ١٢/٣٠٤.

- ومن خصائصه أنه يعد أوفى وأشمل معجم في تاريخ اللغة العربية المسجل من قبل، حيث استفاد ابن سيده فيه بكلّ ما صنف من قبل.

- وتلخص الباحث عماد عشا في مقاله "الجهود المعجمية في الغرب الإسلامي: المخصص لابن سيده نموذجاً" إلى بعض الخصائص المهمة. فهو يقول: "ولعل أبرز ما يميز المخصص عن غيره من المعاجم:

**الموسوعية**

هذه موسوعة شاملة، جاءت في ٥ مجلدات ضخمة، وتعددت موضوعاتها، فكأنها اللبنة الأخيرة في صرح المعجم اللغوي، قلما فات عن المؤلف القضايا اللغوية وأتى بجلّ المسائل فيما يتعلق بالنحو العربي بشكل خاص، واللغة العربية بشكل عام.

**اهتمام ابن سيده بالقضايا اللغوية واستدلاله بآراء علماءها**

وقد أشرنا فيما أعلاه إلى أن ابن سيده يهتم بالقضايا اللغوية وأنه يستدل بآراء النحاة الآخرين، إما لتدعيم رأيه أو لدحض رأي النحوي الآخر ولبيان فيما أخطأ فيه، وإما لأجل المقارنة بين الآراء المختلفة في قضية لغوية واحدة ومن ثم التلخيص إلى نتيجة حاسمة تفيد القارئ. لم يكن هو في بعض المواضع من المخصص ناقلا أقوال العلماء وآراءهم فقط بل كشف المخصص عن شخصيته المستقلة وعقب عليها توسيعا في مدلول اللفظ، كما تنوعت تعليقاته وتعددت، فنراه في بعض من الكتاب يتناول آراء اللغويين بالإيضاح وزيادة الفائدة وإكمال النقص أحيانا يحرص على بيان رأيه وتأييد تعبيراته بالاحتجاج لها بالشعر بالكلام المأثور، ولا يقتصر ملاحظاته على توضيح ما يحتاج إلى توضيح من أقوال اللغويين وإكماله بعضها بل تتعدى ذلك إلى مخالفة آراء اللغويين وتخطئتها ويذكر ما يراه صحيحا وما يراه أقرب إلى تفكيره وصواب رأيه.

**منهج الكتاب**

في المخصص اختار المؤلف منهجا يميزه عن المؤلفين من النحاة الآخرين، خاصة في تقسيم كتابه إلى كتب ثم إلى أبواب رئيسية ثم جاء بتقسيمات فرعية، كما بينت أن

الكتاب منقسم إلى خمس مجلدات ضخمة، وكل مجلد ينقسم إلى عدة أبواب فرعية، مثلا إنه بدأ المجلد الأول ببيان خلق الإنسان، وتحته: باب الحمل والولادة، ثم يذكر أسماء ما يخرج مع الولد، ثم الرضاع، والفطام، والغذاء ثم سائر أنواع التربية والغزائر الإنسانية، مثل الغذاء السيء للولد. ثم جاء تحت باب النساء بأسماء الأجزاء المختلفة للنساء وعاداتها الحسنة والسيئة والأمراض الأخرى المتعلقة بها. وبين في مجلد ثاني الأسلحة المتنوعة وأسماءها وخصائصها، وفي مجلد ثالث إنه جاء بذكر البحر وما يتعلق به من الأسماك والحيوانات ثم شرح شرحا لغويا للأنهار والعيون والآبار وغير ذلك من الأمور الأخرى، ثم جاء بذكر الأشجار والنباتات وأنواعها وأقسامها والفوائد المتعلقة بها، ثم جاء بذكر الخيل والإبل والغنم في الأبواب الآتية، إنه شرح في المجلد الثالث الألفاظ المتعلقة بآداب الحوار والقراءة والرقص واللهو واللعب والإيمان والعبادة والصلاة والاذان والزكاة الحج والجهاد والتقوى والرشد والهداية والبر وصلة الرحم والخشوع والخضوع، ثم وصف أسماء الكنيات والنسب والألقاب، ثم بدأ المصنف في الصفحات الآتية الألفاظ المتعلقة بالنحو والصرف، وهذه السلسلة تتابع في المجلد الخامس حتى نهاية الكتاب. في هذه تقسيمات دقيقة تفرد بها ابن سيده من علماء عصره.

غير أنه انتقد على هذه التقسيمات بعض الكتاب والنقاد، كما يقول ألبير حبيب مطلق " ينقسم المخصص إلى كتب، يبحث كل منها في موضوع محدد أو على الأقل كان يفترض أن يبحث في موضوع محدد، فنجد مثلا كتاب خلق الإنسان-كتاب الغرائز-كتاب النساء-كتاب الخيل، وتنقسم هذه الكتب من حيث المبدأ إلى أبواب...ومصطلح باب لم يرد في كل حالة، بل كثيرا ما كانت ترد عناوين كثيرة دون أن يكون لهذا العنوان أهمية خاصة تفرده دون ما سبقه من عناوين، فكتاب اللباس مثلا ترد بعده العناوين التالية: عامة الثياب الرقيق من الثياب الكثيف من الثياب، ثم يأتي بعد ذلك باب المخطط من الثياب، فطبيعي أن المصطلح باب هنا لا يميز بشيء هذا العنوان عما

سبقه"[1].

**اهتمام ابن سيده بالجانب النحوي والصرفي واستحضار آراء علماءه**

هذا الكتاب يضم بين دفتيه القضايا النحوية والصرفية، يعني هذا أنه يبحث عن علم النحو والصرف معا، وأن النحو تطور إلى حدٍّ تفرعت القواعد العربية إلى قسمين؛ النحو، والصرف. وأنه جمع بين هذين النوعين من القواعد.

**اعتباره المحطة النهائية للتأليف في هذا النوع من المعاجم**

حاول ابن سيده أن يضع معجماً يكون محطة نهائية في تاريخ المعاجم، حتى عصره، ليكون مرجعاً لكل من أراد الحصول على مزيد من العلم في اللغة العربية، ويتزود بقواعدها النحوية والصرفية. كما يصرح به نفسه قائلاً: " فاشرأبت نفسي...إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط على من اللغة إلا ما لا بال له وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها، وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه..."[2].

**مخالفته لمنهج الخليل والذي تعود عليه**

قبل خروج "المخصص" لابن سيده، كان كتاب العين لـ الخليل اللغوي سائد في الأوساط العلمية اللغوية والعامة، وكان العلماء يقلدونه ويسيرون على نهجه وانبهروا بمعجمه وبما احتواه، واتخذوه نموذجا يحتذى به. ولكن جاء ابن سيده، فسار على درب آخر، وشرع في التأليف وجاء بمعجم يتميز بالنضج التام، وأشمل من كتاب العين. ومنذ ذاك الحين بدأ المغاربة يستفيدون من المخصص وقلّ الاهتمام والولوع بكتاب الخليل.

---

١. البير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس، ص ٣٦٥-٣٦٤، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، عام ١٩٦٧.

٢. ابن سيده، المخصص، ٧/١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وفي كتابيه المحكم والمخصص تصدى ابن سيده بذكر القضايا اللغوية بشكل عام والنحوية بشكل خاص، وبالإضافة إلى ذلك يقف على أخطاء وزلات من سبقه من اللغويين والنحاة ونبّه عليها. وامتاز الكتابان في عديد من الأمور سبق البحث عنها وهما بمثابة موسوعتين تحوي كنائز القواعد العربية؛ النحوية، والصرفية، وتشمل معظم ما قيل وبحث عنه في فن النحو العربي وبجانب جمع تلك القواعد والأصول تنتهج منهج النقد اللغوي لأول مرة في تاريخ الأندلس.

## المراجع والمصادر


١. علي أبو الحسن، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٢٠٠٠م.

٢. علي أبو الحسن، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مصطفى السقا، والدكتور حسين نصار، الطبعة الأولى، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.

٣. علي أبو الحسن، المخصص، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٤. خاقان، أبو نصر الفتح: ***مطمح*** الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ***دار عمار- مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٣م.***

٥. ابن خاقان: قلائد العقيان، تحقيق: حسين يوسف (الطبعة الأولى: مكتبة المنار ١٩٨٩م ).

٦. التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب *من غصن الأندلس الرطيب*، المحقق: إحسان عباس، دار صادر بيروت. ١٩٦٨ م.

٧. **عمر**، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم ***الكتب – القاهرة.*** ١٩٨٨م.

٨. وليم لين إدوارد: مد القاموس، مكتبة لبنان ناشرون. ١٩٩٧م.

٩. مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧م.

١٠. السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد بن أبي الفضل، دار الفكر ***بيروت***، ط_٢. ١٩٧٩م.

١١. القطفي جمال الدين علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٢. خليفة حاجي: كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

١٣. نصار حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة القاهرة. ١٩٨٨م.

١٤. الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين بيروت. ١٩٨٦م.

١٥. الطالبي دليل محمد، المخصص دراسة، المطبعة العصرية_ تونس. ١٩٥٦م.

١٦. الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء، المحقق: شعيب الأرناؤوط - بشار معروف – وآخرون، ***مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٢م***.

١٧. عشا عماد، الجهود المعجمية في الغرب الإسلامي (المخصص لابن سيده نموذجا)، مقال منشور من خلال الموقع الثقافي "مطر" من خلال رابط التالي: (http://www.matarmatar.net/threads/42236)، مؤرخا: ٢/١١/ ٢٠١٦م.

١٨. القاضي، صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ***المحقق: لويس*** شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ط_١، ١٩١٢م.